القواعد التفسيرية لكتاب (تفهيم القرآن)

مراد اسماعيلي
طالب دكتوراه، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
morad.esmaeili@gmail.com
الدكتور محسن نوراني
أستاذ مشارك، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
M.Nouraei@Umz.Ac.Ir
الدكتور مهدي تقي زاده طبري
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
mt.tabari@umz.ac.ir

Interpretation rules for the book (Understanding the Qur'an)

Morad Esmaeili
PhD student , Department Of Qur`an And Hadith Studies , University Of Mazandaran , Babolsar , Iran
Dr. Mohsen Nouraei
Associate Professor , Department Of Qur`an And Hadith Studies , University Of Mazandaran , Babolsar , Iran
Dr. Mahdi Taqizade Tabari
Assistant Professor , Department Of Qur`an And Hadith Studies , University Of Mazandaran , Babolsar , Iran

الملخص:-

تفسير تفهيم القرآن من التفاسير المعترف عليها؛ كتبه المفسر المعاصر أبو الأعلي المودودي. ليس لهذا التفسير مقدمة شاملة وجامعة تدل علي المباني والقواعد ومنهج المفسر وأسلوبه التفسيري. نظراً إلى منزلة تفسير تفهيم القرآن باعتباره تفسيراً مشهوراً وذا تأثير في شبه القارة الهندية وفي المجتمعات الإسلامية مؤخراً ووفقاً لأهمّية البحث عن القواعد التفسيرية فإنّ هذا البحث قام بتبيين قواعده التفسيرية. بعد أن قمنا بقراءة تفسير تفهيم القرآن تبيّن لنا أنّ المفسّر استخدم بعض القواعد التفسيرية منها: قاعدة الاهتمام بالقراءة الصحيحة، وقاعدة الاهتمام بالمعاني اللغوية ومفاهيم المفردات في عصر النزول، وقاعدة الانتباه بالأدب العربي، وقاعدة النظر في قرائن الكلام، وقاعدة مبدئية العلم والعلمي وقاعدة الانتباه بأنواع الدلالات.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، تفسير تفهيم القرآن، القواعد التفسيرية، أبو الأعلي المودودي.

Abstract:-

Tafsir Tafhim al-Qur'an is one of the most reliable commentaries authored by Abul Aala Maududi. Tafseer Tafhim al-Qur'an lacks a comprehensive and complete introduction that expresses the foundations, rules and interpretation method of the commentator. Considering the position of interpretation of the Tafhim al- Qur'an and as one of the most famous and influential interpretations in the Indian subcontinent and recently in Islamic countries and the importance of discussing the rules of interpretation, the present research is responsible for explaining its rules of interpretation. With the follow-up that was done in the Tafhim al-Qur'an, it was found that the exegete follows the rules of interpretation such as: the rule of considering the correct reading, the rule of paying attention to the lexical meanings and concepts of words in the era of descent, the rule of paying attention to Arabic literature, the rule of paying attention to the evidence of the word, The rule of being based on science and science and the rule of paying attention to all kinds of meanings have been used.

Key words: Qur'an , Tafhim al-Qur'an, rules of interpretation, Abul-Aala Maududi.

المقدّمة:

إن استخدام المنهج الصائب ومراجعة المبادئ والأسس والقواعد في علم التفسير له من الأهمية بمكان؛ لأنّ تعلم المنهج الصائب وتوظيفه الصحيح يؤدي إلى الوصول إلى الهدف، وعلى العكس من ذلك فإنّ عدم الاهتمام بالمبادئ والقواعد الصحيحة؛ يسبب البعد عن الغاية والهدف؛ لأنّ عدم الاعتماد على الأسس والقواعد الصحيحة يؤدي إلى إدخال مباحث غير صحيحة وعدم مراجعة النصوص التفسيرية، فبالتالي يؤدي إلى عدم الثقة في تلك النصوص. لذلك، لا يمكن الثقة بجميع النصوص التفسيرية. إن أغلب الاختلافات والتناقضات التي حدثت في التفسير ترجع إلى عدم الاهتمام بالأسس والقواعد الصحيحة وكان دور العوامل الأخرى في ظهور هذه الاختلافات والأخطاء صغيراً جداً مقارنة بهذا العامل، بينما إذا تمّ استخدام القواعد الصحيحة في التفسير فإنه من الممكن اختبار التفسيرات الموجودة وقياس صحة التفهمات وسقمها من جهة ويمكن الحصول على قاعدة مناسبة للتفسير الصحيح من جهة أخري. في هذا الصدد، تم القيام بأنشطة قيمة في تقييم ومنهجية العديد من التفسيرات، وحظيت التفسيرات المعاصرة باهتمام خاص؛ لأنها ذات توجهات متنوعة وتحتوي على قضايا راهنة. ومن هذه التفاسير المعاصرة القيمة تفسير تفهيم القرآن لأبي الأعلي المودودي، والذي للأسف، على الرغم من شعبيته الملحوظة لدى الطبقة الوسطى والأكاديميين في المجتمع الإسلامي اليوم، وخاصة في شبه القارة الهندية ومؤخراً في العالم الإسلامي، إلا أنّه لم يتم حتى الآن بحث خاص ومميز لقياس مدى دقة قواعد تفسيره وصحتها. والبحث الوحيد ذو الصلة الذي يمكن ذكره في هذا الصدد هو رسالة الأسس والقواعد التفسيرية لمؤلف هذا البحث في جامعة مازندران، والذي تمت كتابته استكمالاً للحصول علي درجة الدكتوراه. فبما أنّه لم يذكر القواعد التفسيرية في تفسيره بشكل مباشر ومستقل، ونظراً لأهمية الموضوع، فقد رأينا أنه من الضروري بحث القواعد التفسيرية لتفهيم القرآن بشكل منفصل. وينبغي قياس مدى صحته ومرجعيته إلى قواعد التفسير الصحيحة، لكي يتحدد صحة هذا التفسير وحصانته من التفسير بالرأي.

أبو الأعلي المودودي وتفهيم القرآن:

ولد السيّد أبو الأعلي المودودي في أورنك آباد في ٣ رجب ١٣٢١هـ ق، الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣م. (گيلاني، ١٣٨٠، ٥٤) وتوفّي بعد أن بلغ من العمر ٧٦. تلقى مولانا

مودودي دروسه الابتدائية في المنزل وفي المدرسة في أورنك آباد. كان والده يحبّ جدًا أن يصبح ابنه خبيرًا في الدين وعالمًا دينيًا (مولوي)، ولهذا السبب قام بمراقبة عمليته التعليمية منذ البداية (التعليم الابتدائي) واختار تعلّم الدروس الدينية له (الموسوي، ٢٠١٨، ٣٢).

يعدّ مولانا أبو الأعلي المودودي أحد أعظم المصلحين المعاصرين وعباقرة العالم الإسلامي في شبه القارة الهندية وشرق العالم الإسلامي، ومن أبرز شخصيات الإصلاح والنهضة في العقود الأخيرة، أثّرت آراؤه وأعماله وأفكاره في العالم الإسلامي المعاصر على مختلف الحركات والأحزاب الإسلامية. لقد كان سياسيًا عالماً وصحفيًا عالم اجتماع واقتصاديًا واسع الاطلاع وقائدًا مؤثراً حيث ساهمت أفكاره وآراؤه وخدماته الاجتماعية ليس فقط خلال حياته ولكن أيضًا بعد وفاته في إلهام عقول وأجساد الجماعات الإسلامية المختلفة وفعاليتها. ورغم أن مولانا المودودي هو مولد الهند وقد توفّي في شبه القارة الهندية، إلا أن آثار خدماته العلمية والسياسية والاجتماعية والدينية اخترقت الحدود وأصبحت فعالة في أماكن كثيرة في العالم الإسلامي. وله مؤلفات عديدة وقيمة في مختلف المجالات؛ القرآن والحديث والتفسير، والسياسة والقانون، الاقتصاد والمجتمع، السياسة والأسرة، الخ.

إنّ ما ميز أبو الأعلي المودودي بوصفه زعيماً إسلامياً وعالماً هو إخلاصه في العمل وفي ميدان النضال، وتقواه الإلهية الخاصة في مواجهة تحديات الحياة المختلفة، وأنّ رؤيته هي نتاج تفكيره العميق في متطلبات العصر من خلال القرآن والسنة. إنّ عمره الكريم وحياته الطيّبة، مليء بالتحديات والأحداث حيث إنّها لم تقتصر في عزمه وخلوصه نحو خدمة الخليقة والخالق فحسب، بل كانت فعالة تدريجيًا في تنمية قوة خلوصه وتعزيز تقواه الإلهية بحيث أصبحت لحظات وساعات حياته الكريمة، وقف الكرامة وتقدم الإسلام وكيان المسلمين. من وجهة نظر المودودي، من الممكن الوصول إلى التحديث وفي نفس الوقت عدم التغريب فهو يتهم بالجهل من يرفض لعلم الحديث بذريعة أنّه نشأ من الغرب (فيّاض، صدقي؛ ١٣٩٥، ١٣٣- ١١٣). إنّ أنشطة مولانا المودودي في حركة حماية الخلافة لقد أتاحت له فرصة جيدة للقاء كبار الشخصيات السياسية والقادة في الهند مثل الشيخ كفاية الله دهلوي، مفتي الهند والشيخ الشهير أحمد سعيد (مودودي، ١٣٨٥، ٣٣).

من أغلى وأثمن أعمال مولانا أبو الأعلي المودودي تفسيره للقرآن الموسوم بـ "تفهيم

القرآن" الذي كتبته هذه الشخصية العظيمة في الوقت الذي تدعو فيه وتبشر بإصلاح وتنشيط المجتمع المسلم. تفهيم القرآن هو تفسير قابل للفهم ويمكن أن يستخدمه جميع فئات الناس. لقد انشغل بهذا الأمر الثمين في أزمنة وأماكن مختلفة، حتى أنّ إتمام هذا العمل الثمين استغرق نحو ثلاثين سنة. وقد كتب أجزاء كبيرة من تفسيره في سجون حكومة باكستان آنذاك، والتي نُفذت بسبب اعتقالاته المتكررة، بجريمة قتال الملحدين والغربيين من معاصريه.لقد تمت ترجمة تفسير تفهيم القرآن الكريم بلغات مختلفة منها: الإنجليزية والعربية والتركية والفارسية والبنغالية وغيرها. ويرى مولانا المودودي أنّ دافعه لكتابة هذا التفسير النبيل هو إسقاء نفوس المسلمين الظمأى من ينبوع القرآن الصافي المبارك الهادي.

مفهوم القواعد التفسيرية:

القواعد جمع القاعدة تعني المبدأ الذي يُعتمد عليه وتقوم عليه المسائل الأخرى (فراهيدي،:١٤٠٩،١ ١٤٣؛ طريحي، ١٣٧٥: ٣، ١٢٩). من هذه الكلمة، يستنبط معنى الأساس والمبني حيث في البناء يخلق الدور الرئيسي للمكونات الأخرى ويكون المحور الرئيسي. وقد وردت تعريفات مختلفة للقواعد التفسيرية، منها على سبيل المثال: «المراد من قواعد التفسير، والتي تفسر أيضا على أنها ضوابط التفسير، هو كبري قياس عام يطبق على مسائل جزئية أثناء التفسير، وتعرف منه أحكام الجزئيات» (مؤدب، ١٣٨٨، ٣٥). ببيان آخر، إنّ القواعد عامّة يمكن بواستطها استنباط الآيات القرآنية وهي ليست منحصرة علي آية أو سورة معيّنة وتشمل القواعد التفسيرية المشتركة والعلوم الأخرى والقواعد التفسيرية الخاصّة (رضايي اصفهاني، ١٣٩٢، ١، ٢٥١). قال بعض الآخرين: «قاعدة التفسير هي قضية عامّة تستنبط بها معاني القرآن» (فاكر ميبدي، ١٤٢٨، ٣٣). إنّ مراعاة قواعد التفسير وضوابطه تساعد المفسّر وتحفظه أثناء التفسير من ألا يدخل في ورطة التفسير بالرأي وتصونه من الخطأ وإذا كان هناك إهمال في مراعاة هذه القواعد، فإنّه طعن في دقة التفسير وصحته بنفس الدرجة.

القواعد التفسيرية لتفهيم القرآن

١- قاعدة الاهتمام بالقراءة الصحيحة

من أهم القواعد في تفسير القرآن قاعدة الاهتمام بالقراءة الصحيحة، وهي الخطوة

الأولى للمفسر في مجال المعرفة والإشراف علي آيات القرآن. القراءة بمعنى التلاوة وهي مأخوذة من مادة "قرأ" وجمعها قراءات. والقراءة تعني الجمع كـ "قرأتُ الماء في الحوض" أي جمعتُه (حجتي، ١٣٦٠، ٢٤). كما استشهد بمعنى "الجمع" ابن فارس والراغب)ابن فارس،١٤٠٤:٥ -٢٧٥ الراغب الأصفهاني،١٣٧٥:١ ٦٩٨(. وفي مصطلح علوم القرآن، القراءة هي تلاوة كلمات القرآن الكريم بنفس الطريقة والجودة التي تلاها رسول الله ﷺ أو تمت تلاوتها بحضرته، وهو أقر نطقها وتلاوتها (الفضلي، ١٣٧٩، ٨١-٨٠). القراءة الصحيحة هي أيضًا تلاوة متوافقة مع تلاوة رسول الله ﷺ، وطرق الوصول إليها هي: السيرة العملية للمسلمين، النقل المتواتر وشهرة التلاوة في عهد النبي ﷺ، والتوافق مع المسلّمات (الأدبية، والنقلية، والعقلية). المهمة الأولى للمترجم هي العثور على القراءات الصحيحة. في تواتر القراءات، يعتقد بعض المفسرين بمجموع تواتر القراءات أو القراءات السبع، وقبلوا جميع هذه القراءات في حين أنّ هذه القراءات المتواترة لم تكن منقولة عن رسول الله ﷺ بأسباب متقنة (انظروا إلى: الخويي، لاتا: ٢٤٨- ٢٢٦). فيما يتعلّق باختلاف القراءات، يجب أن يحاول المترجم التعرف على القراءة الصحيحة بناءً على المعايير التالية:

١. المطابقة للقرآن المكتوب الذي وصل إلينا بشكل متواتر عبر تاريخ الإسلام.

٢. فيما يتعلّق باختلاف القراءات، يكون المعيار هو قراءة جموع المسلمين المسجلة في القرآن الجديد والقديم

٣. توافق جمهور القراء.

٤. في حالة تساوي قراءتين أو أكثر؛ لقد تم اختيار قراءة أكثر بلاغة ومتوافقة مع القواعد العربية.

٥. أي قراءة لدينا سبب أكيد للاتباع بها هي أبلغ وأقوى توثيقاً (معرفت، ١٤١٥، ٢، ١٩٢)

لقد جعل صاحب تفسير تفهيم القرآن رواية حفص عن عاصم، أساساً لعمله وهي ذات خصائص مذكورة آنفاً، وامتنع عن قبول تلاوات شاذة، وتفسيره كله مبني على أشهر وأوثق طريقة للتلاوة العامة عند المسلمين، وهي نفس قراءة حفص عن عاصم.

٢- قاعدة الاهتمام بالمعاني اللغوية ومفاهيم المفردات زمن النزول

بناءً علي الآية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾)إبراهيم/ ٤) لقد استخدم القرآن الكريم المفردات المستعملة في عصر النزول من أجل تبيين مراد الله بالإضافة إلى ذلك، كان أحياناً يغير معاني المفردات ويقدم لها معاني جديدة ويستعملها كحقيقة شرعية. لذلك فإنّ الفهم الصحيح لكلمات القرآن يرتبط تماماً بفهم معنى تلك الكلمات في عصر النزول وكيفية تفاعل القرآن معها. من ثم فإنّ تغيير معنى الكلمات مع مرور الوقت هو حقيقة لا يمكن إنكارها ولا تختص بأي لغة.

لذلك فإنّ بعض الكلمات والتعابير في جميع اللغات مع مرور الزمن، بسبب اختلاط الأقوام مع بعضها البعض والتغير في استخدامها، تخضع فعليًا للتحول والتغيير في المعنى، كما هو الحال في بعض الكلمات والتعابير القرآنية التي لا تستثني من هذه العملية والتحول وعبر القرون وبعد أن مرّت سنوات عديدة من عصر النزول، طرأت عليها تغيرات معينة. مع أخذ هذا المبدأ في الاعتبار، يجب على المفسر أن يستخدم المعنى الأصلي لتلك العبارات والكلمات، وذلك لمنع المخاطب من سوء فهم المفهوم الأصلي وتجنب تفسير الآيات على أساس معاني لاحقة. علاوة على ذلك، فقد ورد أن بعض الكلمات لها معاني متعددة، وعلى المفسر أن يكتشف المعنى المقصود من القرآن قدر الإمكان من هذه المعاني، مع الأخذ في الاعتبار شيوع استخدامه في عصر النزول بين الأقوام وقبائل العرب وعلى أساس غير ذلك من الاستخدامات القرآنية. لقد روعيت هذه القاعدة أيضاً في تفسير تفهيم القرآن، وقد راجع أبو الأعلي المودودي إلى آيات أخرى ومفاهيم شائعة في عصر النزول في تفسير وشرح الآيات والكلمات. علي سبيل المثال، قال في شرح معنى كلمة "العصف" في الآية ٥ من سورة الفيل: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولٖ﴾ (الفيل/ ٥) إنّ مفردة "العَصْف" ذكرت في الآية ١٢ من سورة الرحمن أيضاً: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾)الرحمن /١٢) وهي ورق الزرع أو القشرة التي توجد علي حبات الغلات حيث إنّ الفلاح يرميها بعد أن خرج الحبات منها ثم تأكلها الحيوانات وتسقط بعض منها من أفواهها أثناء الأكل وتداس بعض منها تحت أرجلها (المودودي، ١٣٩٨، ٧، ٤٩٧).

لقد قام مودودي بشرح المفردات والكلمات القرآنية التي بحاجة إلى تفسير بشكل

صحيح مستعيناً بآيات القرآن الأخرى، وأحاديث النبي ﷺ، والثقافة العامة لعصر النزول، وأقوال الصحابة والتابعين، وكلام اللغويين.

٣ - قاعدة الاهتمام بالأدب العربي في التفسير

ينبغي أن يكون تفسير القرآن وفق القواعد العربية التي اتفق عليها علماء علم الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع؛ لأن لغة القرآن هي أفصح نسخة من اللغة العربية، ويجب أن يكون تفسيره وفق القواعد الأدبية المستمدة من أفصح الخطب والمؤلفات (بابايي، ١٣٩٤، ١١٣).

لقد استخدم مفسر تفهيم القرآن في تفسيره جميع أنواع العلوم الأدبية العربية مثل النحو والصرف والبيان والبلاغة، وإن كان قد منع من ذكرها على وجه الخصوص وبشكل مباشر، إلا أنّه استخدم العلوم العربية والأدبية في تفسيره فعلياً. علي سبيل المثال، في تفسير الآية ٥ من سورة الحمد لقد قام بشرح معنى عبارة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة/ ٥) بثلاثة أشكال: «قيل إنّ للعبادة ثلاثة معاني منها: العبادة والطاعة والعبودية وفي هذه الآية الكريمة يقصد كل من المعاني الثلاثة أي: نحن عابدوك ومطيعوك وعبادك. ليس لدينا هذه العلاقة معك فحسب، بل الحقيقة الواقعية هي أن علاقتنا معك فقط، وليس في أي من هذه المعاني الثلاثة إلهنا أي شخص آخر (مودودي، ١٣٩٨، ١، ٦٧).كما يقول في تفسير الآية ٥ من سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ (الجمعة/ ٥) شبه اليهود- في أنهم حملة التوراة ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، بالحمار حمل أسفارا، أى كتبا كبارا من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وإنّ اليهود لا يدرون أنّ هذا الكتاب لمَ نزل وماذا يريد منهم؟ (المصدر نفسه، ٦، ٥٠٨- ٥٠٧). كماهو معلوم إنّه قام بشرح هذه الآية من خلال التشبيه الذي تمّ ذكره في علم البيان ويبّين مراد الله وغرضه مستعيناً بهذه القاعدة الأدبية العربية.

٤- قاعدة الاهتمام بقرائن الكلام

"القرائن" هي جمع قرينة، ولكلمة "قرينة" عدة معانٍ في الكتب المعجمية المعتمدة. في كتاب"فرهنك معين"؛ يتم تعريف القرينة على النحو التالي: "العلامة، والإشارة، والنظير

والمثل، وما هو سبب لفهم شيء أو العثور على مجهول أو الوصول إلى هدف" (معين، ١٣٧١ش، ٢، ٢٦٧١). القرائن التفسيرية هي الأشياء التي لها ارتباط لفظي أو معنوي بالكلام وتكون فعالة في فهم محتوى الكلام وفهم مراد المتحدث (بابايي،١٣٩١، ٣: ٢٣٣- ٢٣٢).

إنّ قرائن الكلام إما أن تكون متصلة ومتواصلة، وإما منفصلة. هناك أنواع مختلفة من القرائن المتصلة منها: القرائن المتصلة اللفظية وغير اللفظية. القرائن المتصلة اللفظية هي عناصر مثل السياق والقرائن المتصلة غير اللفظية هي عناصر مثل سبب النزول، الثقافة زمن النزول، زمان النزول ومكانه، خصائص الجمهور، وسمات موضوع الكلام والمعارف البديهية والبراهين القطعية الواضحة. والمقصود من القرائن المنفصلة هي الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث عن النبي ﷺ.فمثلاً من القرائن المتصلة غير اللفظية، هي سبب نزول الآية أو شأن نزولها، حيث إنّ التعرّف علي سبب نزول الآية في كثير من الأحيان تؤدي إلى تحقيق النتائج وإيصال المعنى الصحيح للآيات ودفع غموض معنى آيات القرآن. يقول واحدي النيشابوري، أحد علماء القرآن في هذا الصدد: «إنّ تحديد تفسير الآية لا يكون ممكناً إلا من خلال التعرف علي قصتها وسبب نزولها» (الواحدي النيشابوري، ١٣١٥ق، ٣). يرى السيوطي، أحد كبار علماء علوم القرآن، أنّ فوائد النزول هي معرفة معاني الآيات وإزالة المشكلات عنها (السيوطي، ١٤٢١ق، ١: ١٢١). قد يراجع مولانا المودودي في تفسيره إلى أسباب نزول الآية ويذكر أسباب نزول الآيات من أجل فهم محتوى القرآن وآيته. علي سبيل المثال، في تفسير الآية ١٦٧ من سورة البقرة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة/ ١٦٧) نظر إلى سبب نزول الآية ويري أنّ سبب نزوله يعود إلى زعيم منافقي المدينة، عبد الله بن أبيّ ويقول: وعندما رجع عبد الله بن أبي مع مجموعته المكونة من ٣٠٠ منافق من منتصف الطريق، ذهب إليه بعض المسلمين لإقناعه بمرافقة المسلمين، لكنه أجاب: نحن على يقين أنه لن تكون اليوم هناك حرب، لهذا السبب نحن نذهب، ولو كنا نعلم أنه ستكون هناك حرب، لكنا أتينا معكم (المودودي، ١٣٩٨، ١: ٣٢١). بهذه الطريقة يشرح الآية ويفسرها باستخدام القرينة اللفظية.

في مواضع أخرى يفسر الآية باستخدام زمان نزول الآية ومكانها على سبيل القرينة

الكلامية. علي سبيل المثال، يقول في تفسير الآية ٤ من سورة العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (العنكبوت/ ٤) علي الرّغم من أنّ جميع الظالمين الذين استكبروا عن الله تعالى بإمكانهم أن يكونوا أمثلة لهذه الآية، إلا أنّ وجه الكلام هنا نحو القادة الطغاة الذين كانوا في ذلك الوقت حاملي لواء مخالفة الإسلام وتعذيب المؤمنين بالإسلام. على سبيل المثال، الوليد بن مغيرة، وأبو جهل، وعتبة، وشيبة، وعقبة بن أبيمي، وحنظلة بن وائل، وغيرهم، وإنّ السياق نفسه يقتضي أنه بعد نصيحة المسلمين بالصبر والثبات على من يعذب هؤلاء العباد الحق، ينبغي التنبيه أيضا (المصدر نفسه، ٤: ٣٠٧- ٣٠٦).

٥- قاعدة مبدئية العلم والعلمي

إنّ الغرض من العلم هو معرفة قطعية ويقينية تنتنج عن الأسباب العقلية والنقلية والتجريبية القطعية كنصوص القرآن والأخبار المتواترة ووالبراهين العقلية (رضايي اصفهاني، ١٣٨٧، ٤٨٤). ومن القواعد التي يستخدمها المفسر للحصول على فهم صحيح للآيات القرآنية هو استخدام قاعدة العلم والمعرفة. في علم الأصول، الغرض من العلم هو الأسباب والوثائق التي تكون مضامينها قطعية ومؤكدة، ويتولد منها اليقين والأسباب والبراهين التي أقرها الشارع، وإن كانت مشكوكاً فيها، تسمى علمي، ووجه تسميتها بالعلمي هو أنّ هذه الأسباب وإن لم تكن مولدة للعلم إلا أنها بسبب تأييدها من قبل الشارع، فهي مثل العلم (مشكيني، ١٣٧٩: ٨٩).

من أمثلة العلم والعلمي: نصوص وظواهر الآيات والأحاديث، والأخبار التاريخية القطعية، والأحاديث الصحيحة وآراء الصحابة والتابعين، وآراء المفسرين، وأقوال المعجميين من أهل العلم والخبرة أو ناقلي الأخبار الماضية المعترف به حيث إنّ المفسر في تفسيره يستفيد من كل هذه المسائل.

أما فيما يتعلق بالاعتماد واستخدام قاعدة كون العلم والعلمي مبني فلا بد من الإشارة إلى هذه النقطة التي تقول إنّ القضايا التفسيرية والوثائق التي تذكر لها، وكذلك المعاني والمفاهيم التي ذكرت أو رجحت للآيات القرآنية تلزم أن تكون علماً (الدليل القاطع) أو علمياً (الدليل المشكوك فيه الموثق) ولا تستخدم غيرها كمصادر تفسيرية صحيحة.

لم يذكر أبو الأعلي المودودي هذه القاعدة صراحة في تفسيره، لكنه تأمل ولاحظ هذه القاعدة المهمة في تفسير وشرح بعض الآيات، وإنّ وثائقه علمية موثوقة. علي سبيل المثال، قال في تفسير الآية ٢٤ من سورة فاطر المباركة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ (فاطر/ ٢٤) وقد ورد هذا الأمر في مواضع كثيرة من القرآن أنّه ما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرها من عذابه. كما ذكر في الآية ٧ من سورة الرعد: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾ (الرعد/ ٧) وأيضاً في الآية ١٠ من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الحجر/ ١٠) وأيضاً في الآية ٣٦ من سورة النحل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ (النحل/ ٣٦) (المودودي، ١٣٩٨، ٥:٨٠). إنّ هذه المعاني والإشارات الواضحة الواردة في التفسير يمكن اعتبارها نماذج الاستناد إلى نصوص الآيات القرآنية الكريمة والأدلة العلمية (العلم). لقد قال في تفسير الآية ٩ من سورة التغابن: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾ (التغابن/ ٩) والمقصود بيوم الجمع هو يوم القيامة، والمقصود بجمع الجميع هو أنّ في ذلك اليوم يبعث جميع الناس الذين ولدوا من أول الخلق إلى نهاية الدنيا في نفس الوقت وسيجتمعون في مكان واحد. علي سبيل المثال، قال في الآية ١٠٣ من سورة الهود: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ (هود/ ١٠٣) ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعًا للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم. وقال في الآية ٤٩ و٥٠ من سورة الواقعة: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ (الواقعة/ ٤٩-٥٠) قل لهم إنّ الأولين والآخرين من بني آدم سيُجمَعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة (المصدر نفسه، ٦: ٥٦٥).

٦- قاعدة الاهتمام بأنواع الأدلّة

من الأمور المهمة في تفسير آيات القرآن الكريم هو الاهتمام بأنواع دلالات الكلام، وبما أن أصحاب العقل والفكر، بالإضافة إلى المعني الظاهري والمطابقي لكلام المتكلم ينتبهون باللوازم فبالتالي إنّه قاعدة عقلانية. يقول عبد الرحمن العك في هذا الصدد: إنّ البحث عن دلالات الكلمات لها أثر واضح في تفسير آيات القرآن وفهم معانيها ومقاصدها، لأنّ فهم الآيات والحصول على مراد الله ليس يقتصر على فهم الظاهر والدلالة المطابقية، ولكن يتم فهم العديد من الأحكام من خلال أنواع مختلفة من الدلالات (العك، ١٤٠٦ق، ٣٥٩).

وذكر عبد الرحمن السعدي في هذا الصدد أيضاً: من القواعد التي يجب أن ينتبه إليها المفسر أن الألفاظ مع ما لها من معانٍ مطابقية وتضمنية، لها معان أخرى خارجة عن ظاهرها يدعي لها المعني الالتزامي ولا بد أن يكون لكل مفسر رأي كاف وواف في هذه المعاني (السعدي، ١٤٢١ق، ٣٤).

إن الأخذ بعين الاعتبار والاهتمام بجميع أنواع الدلالات أثناء تفسير القرآن من قبل المفسر سيجعله أن يصل إلى فهم أعمق لآيات القرآن؛ لأنّ القرآن عادة شرح وعالج موضوعاته وأهدافه باختصار، ويتفق العلماء أنه بالإضافة إلى الاستشهاد والاحتجاج على ظاهر آيات الله، يمكن أيضًا الاحتجاج والاستناد علي لوازم كلام الله بحيث يمكن استناد كل من ظاهر كلام الله ولوازمه عليه. هناك أقسام مختلفة لأنواع الدلالات منها: الدلالة الطبيعية، والدلالة الوضعية، والدلالة المطابقية، والدلالة التضمّنية، والدلالة الالتزامية (يزدي، ١٣٨٥: ٣١- ٢٨).

وقد حدد جماعة من علماء علم الأصول أنواعاً مختلفة من الدلالات (المظفر ١٤١٥هـ، ١٤٠)، منها: دلالة الاقتضاء، ودلالة التنبيه والإيماء، ودلالة الإشارة، والدلالة المفاهيمية للكلام.

بمراجعة عامة ورصد ودراسة لتفسير تفهيم القرآن يتبين أنّ مولانا رغم أنه لم يذكر اسماً للدلالات وأنواعها في التفسير إلا أنه استخدمها بطرق مختلفة وفي عدة مواضع في تفسيره. علي سبيل المثال، يقول في تفسير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة/ ١) بعد أن ترجمها بـ"أبتدئ قراءتي مستعينا باسم الله الذي وسعت رحمته جميع الخلق والذي يرحم المؤمنين": من الآداب التي علمها الإسلام للإنسان أن يبدأ جميع أعماله باسم الله وذكره، فإذا اتبعت هذه القاعدة بوعي وإخلاص، لابد أن يحصل على ثلاث فوائد. أولاً: يحفظ الإنسان من كثير من السيئات والمنكرات؛ لأنّ ذكر اسم الله في بداية كل عمل يجعله يظن هل يحق لي حقا أن أبدأ هذا العمل بذكر اسم الله، ثانياً:إنّ ذكر الاسم الله في بداية كل العمل الصحيح والصالح يجعل دافعية الإنسان ونيته تسير في الاتجاه الصحيح ويبدأ العمل والحركة من النقطة الأصح، والفائدة الثالثة، وهي في الواقع الفائدة الأهم، هي أنّ الإنسان إذا بدأ عمله باسم الله وذكره، تشمل بركات الله وتوفيقاته حاله، فيبارك له في جهده وسعيه

وسوف يكون بعيداً عن إغراءات الشيطان. إنّ منهج الله هو أنّه كلما اهتم العبد به، فهو يهتمّ بعبده أيضاً (المصدر نفسه، ١: ٦٤). إذاً، يتّضح أنّه راعى في تفسير هذه الآية دلالة التنبيه أو الإيماء، لأنه في دلالة التنبيه أو الإيماء ونظراً إلى القرائن الموجودة في الكلام يستنبط أنّ المتكلم، بالإضافة إلى المعنى الذي يفهم من كلامه، فإنّه بمساعدة الإيماء والإشارة والتنبيه يصل إلى المعاني الأخرى.

كما أنّه في تفسير الآية ١٥ من سورة الأحقاف المباركة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف/ ١٥) ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما، فقد حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب، وولدته على مشقة وتعب أيضًا، ومدة حَمْله وفطامه ثلاثون شهرًا يقول: تشير هذه الآية إلى أنّه على الرغم من أن الأولاد يجب أن يخدموا كلا الوالدين لكن حق الأم هو الأهم؛ لأنها تتحمل المزيد من المشقة على أطفالها. إنّ هذا المطلب يؤخذ من ذلك الحديث الذي يوجد في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومسند أحمد وأدب المفرد للإمام البخاري مع اختلاف بسيط في اللفظ حيث أشار الحديث إلى أن النبي - ﷺ - جعل الأم أولى الناس بحسن الصحبة، بل وجعلها مقدمة على الأب في ذلك؛ قيل: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ» إنّ نصيحة النبي هذه ترجمة دقيقة لهذه الآية الكريمة، لأنّ فيها إشارة إلى أنّ حقّ الأم الذي أعظم بثلاثة أضعاف من حق الأب: ١- فقد حملته أمه في بطنها على مشقة وتعب ٢- وولدته على مشقة وتعب أيضًا ٣- ومدة حَمْله وفطامه ثلاثون شهرًا (المصدر نفسه، ٥: ٥٣١).

كما ورد في شرح معنى دلالة الإشارة، فإنّ دلالة هذه المفاهيم على الآية هي من نوع الدلالة الإشارية، مع أن مولانا المودودي لم يذكر اسم تلك الدلالة، لكنه أشار إلى المفاهيم التي تدل عليها الآية. في تفسير الآية الثانية من سورة المائدة وعبارة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة/ ٢) وإذا حللتم من إحرامكم حلَّ لكم الصيد، يقول مولانا المودودي: فالإحرام جزء من شعائر الله والتجاوز عن حد من حدوده فهو إهانة إليه. ولذلك لقد تمّ ذكره أيضاً في سلسلة شعائر الله، وقيل إن الصيد أثناء الإحرام يعتبر إهانة لشعائر الله. بطبيعة الحال إذا

خرجتم من إحرامكم وفق القواعد الشرعية فبإمكانكم الصيد (المصدر نفسه، ١: ٤٦٣-٤٦٢). وفي مثل هذه الأحوال، يعبر المتكلم عن كلامه بقيد أو شرط أو حالة، وبعد ذلك الكلام، بالإضافة إلى مفهوم يستنبط من مفردة ذلك الكلام، يُفهم أيضًا من مفهومه معنى آخر لا يذكر له مفردة. في تفسير وشرح العبارة أعلاه من قِبَل مولانا المودودي، وإن لم يشر إلى اسم الدلالة ونوعها، إلا أنه استخدم الدلالة المفاهيمية للكلام في النص؛ لأنه نظرا لشرطية العبارة، بالإضافة إلى نقل مفهوم جواز الصيد في زمن غير الإحرام، يستنبط علي أنّه أثناء الإحرام فليس الصيد بجائز، حيث في علم الأصول مصطلحات تسمي المعنى الأول "المعني المنطوق"، والمعنى الثاني الذي لا يوجد له كلمة "المعني المفهوم".

النتيجة:

سعى هذا البحث إلى التعرف على قواعد تفسير تفهيم القرآن الكريم والتحقق منها وتقديم معلومات عامة حول هذا التفسير. من خلال الدراسات التي أجرينا يمكن القول إنّ القواعد التطبيقية التي استخدمها في تفسيره معقولة وموثوقة ومن هذه القواعد هي: قاعدة الاهتمام بالقراءة الصحيحة وأخذ أوثق القراءات بعين الاعتبار، وقاعدة الاهتمام بالمعاني المستعمة للمفردات في عصر نزول القرآن ومعانيها اللغوية آنذاك، والاهتمام بالأدب العربي في تفسير الآيات، وقاعدة الاهتمام بقرائن الكلام، وقاعدة مبدئية العلم والعلمي وقاعدة الانتباه بأنواع الدلالات. بشكل عام فإنّ قواعد تفسيره في ذروة الدقة والصحة ومن هذا المنطلق فليس هناك أيّ ضرر في هذا التفسير ومؤلفه من حيث إدخال قواعد باطلة وغير مؤكدة وبالاستناد إلى قواعده الصحيحة يمكن إعطاء رأي حاسم في صحة تفسيره، ونخلص إلى أنّ هذا التفسير يمكن أن يكون من التفاسير الصحيحة والقيّمة في العالم الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. ابن فارس، احمد، ١٤٠٤ ق: مقاييس اللغه، قم: مكتب الأعلام الإسلامي.

٢. العك، خالد بن عبدالرحمن، ١٤٠٦ ق، أصول التفسير وقواعده، بيروت: دار النفائس.

٣. الموسوي، مهدي، ٢٠١٨ م، ابواالعلي مودودي فكر السياسه و تجربته الاجتماعية، بيروت: مركز الحضاره لتنميه

٤. الفكر الإسلامي.

٥. باباعلي، علي اكبر، ١٣٩١ ش، مكاتب تفسيري، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.

٦. بابايي، علياكبر، ١٣٩٤ ش: قواعد تفسير قرآن، تهران: انتشارات سمت.

٧. حجتي، محمدباقر، ١٣٦٠ ش: تاريخ قرآن، تهران: نشر فرهنگ اسالمي.

٨. الخويي، ابوالقاسم، بيتا، البيان في تفسير القرآن، قم: مؤسسه احياء آثار الإمام الخويي.

٩. الراغب الأصفهاني، ١٣٧٥ ش: حسين بن احمد، مفردات الفاظ قرآن، تهران: انتشارات مرتضوي.

١٠. رضايي اصفهاني، محمدعلي، ١٣٩٢ ش: منطق تفسير قرآن (١)، قم: انتشارات جامعة المصطفي العالميه.

١١. السيوطي، جاللالدين، ١٤٠٧ ق، االتقان في علوم القرآن، بيروت: دارالكتب العربي.

١٢. الطريحي، فخرالدين بن محمد، ١٣٧٥ ق: مجمع البحرين، تهران: نشر مرتضوي.

١٣. فاكر ميبدي، محمد، ١٤٢٧ ق: قواعد التفسير لدي الشيعه والسنهٔ، تهران: مركز تحقيقات و الدراسات العلميه.

١٤. الفراهيدي، الخليل بن احمد، ١٤٠٩ ق: كتاب العين، قم: نشر هجرت.

١٥. الفضلي، عبدالهادي، ١٣٧٩ ش: مقدمه اي بر تاريخ قراءات قرآن، ترجمه: سيدمحمدباقر حجتي، قم: نشر: اسوه.

١٦. فياض، زاهد؛ صدقي، ماجد،،١٣٩٥ نگاه مختصري به انديشه هاي أبو الأعلي مودودي، مطالعات تاريخ اسلام، سال هشتم، شماره،٣١ صص: ١١٣ تا ١٣٣.

١٧. گيلاني، سيداسعد، ١٣٨٠ ش، نگاهي به احوال، آثار و افكار سيد أبو الأعلي مودودي، تهران: نشر احسان.

١٨. مشكيني، علي، ١٣٧٩ ش، اصطالحات الأصول و معظم ابحاثها، قم: نشر الهادي.

١٩. المظفر، محمدرضا، ١٣٨٨ ق، المنطق، تهران: مكتبه الصدر.

٢٠. معرفت، محمدهادي، ١٣٩٠ ش: تفسير و مفسران، قم: مؤسسه فرهنگي تمهيد.

٢١. معين، محمد، ١٣٧١ ش: فرهنگ معين، تهران: انتشارات سپهر.

٢٢. المودودي، أبو الأعلي، ١٣٨٥ ش، اصطالحات چهارگانه، تهران: نشر احسان.

٢٣. المودودي، أبو الأعلي، ١٣٩٨ ش: تفسير تفهيم القرآن، تهران: نشر احسان.

٢٤. المؤدب، سيدرضا، ١٣٨٨ ش: مباني تفسير قرآن، قم: انتشارات دانشگاه قم.

٢٥. الواحدي النيشابوري، علي بن احمد، ١٣١٥ ق، اسباب نزول، قاهره: مكتبه المتنبي.

٢٦. اليزدي، المولى عبدالله، ١٣٨٥ ش، الحاشيه علي تهذيب المنطق للتفتازاني، تهران: انتشارات اسلامي.